# أعلام الثقافة المغربية والأندلسية من خلال كتاب المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي الأتابكي

د.بلعرج عبد الرحمن–أستاذ محاضر أ–
قسم العلوم الإنسانية–كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية–
–جامعة تلمسان–

**Abstract**.

**Full of the history of the Islamic Maghreb, a lot of the same strong presence in the fields of politics, military, religion, science, literature, mysticism figures, has suffered mentioning the study wrote classes and translations, and the pens of oriental and Maghrebian alike, and is notable that the Easterners focus especially salient in the Maghreb history mediator personalities care, although this indicates that anything, it shows two things: first, cultural and scientific communication between the Maghreb and the east and secondly, the value of personal Maghrebian political and scientific.**

**مقدمة:**

يزخر تاريخ بلاد المغرب الإسلامي بالكثير من الشخصيات ذات الحضور القوي في مجالات السياسة والجيش والدين والعلم والأدب والتصوف، وقد تعرضت لها بالذكر والدراسة كتب الطبقات والتراجم، وبأقلام مشرقية ومغربية على حد سواء، والملفت للانتباه أن المشارقة أولوا عناية خاصة بالشخصيات البارزة في التاريخ المغاربي الوسيط، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أمرين، أولهما التواصل الثقافي والعلمي بين المغرب والمشرق وثانيهما قيمة الشخصية المغربية السياسية والعلمية.

ومن بين الأقلام المشرقية التي تعرضت في كتبها لترجمة الشخصيات المغربية مؤرخ العصر المملوكي جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت:874 هـ / 1470م)، وهو من المؤرخين الذين ذاع صيتهم نظرا لغزارة إنتاجه، ويعد نموذجا بارزا لنجاح فئة المماليك في اكتساب الثقافة العربية الإسلامية وتوظيفها في خدمة التاريخ والتراث المحلي والعالمي.

– ترجمة أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي[1]:

والده هو الأمير تغري بردي (معناها الله أعطاه) من أصل رومي جلب إلى مصر واشتراه الملك الظاهر برقوق الجركسي، ثم أعتقه بعد إتمام تكوينه العسكري والديني وترقى في المسؤوليات حتى صار مقدما سنة 794 هـ، ثم تولى نيابة حلب بعد سنتين من ذلك، ثم نيابة الشام سنة 803 هـ في عهد الظاهر فرج بن برقوق، ومن خلال هذا يظهر أن هذا الأمير قد شارك في الأحداث السياسية والتقلبات التي تزامنت مع قيام الدولة المملوكية الثانية وهي المسماة بالجركسية، وكان كما وصفه معاصروه والمؤرخون الذين كتبوا عن تاريخ المماليك بأنه كان ساكنا وكثير الحياء ومحبا للإسلام والعلم، وقد تزوج الملك فرج بابنته فاطمة .

أما المؤرخ أبي المحاسن يوسف ابنه فقد كان له أن يعيش حياة طيبة مع والده، كما عاش في بيت علم ودين منذ نعومة أظفاره، وتأثر في علم التاريخ بالشيخين الجليلين بدر الدين العيني وأحمد بن علي المقريزي وهما من أبرز مؤرخي الزمان، فصار بدوره من أعلام التاريخ في العصر المماليكي.

وكان قريبا من السلطان ومناطق صناعة القرار في الدولة المملوكية الثانية خاصة في عصر السلاطين برسباي وجقمق وخشقدم، وساهم ذلك في اطلاعه على المسببات الحقيقية للأحداث التاريخية، واتصاله بالكثير من الشخصيات المصرية والمغربية والأوروبية وغيرها ممن كانوا يحلون بالقاهرة خلال القرن التاسع الهجري/15م.

وترك ابن تغري بردي مجموعة من المؤلفات التاريخية التي أغنت المكتبة العربية أهمها كتاب المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي في التراجم، وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وحوادث الدهور في مدى الأيام والشهور.

– كتاب المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي وقيمته العلمية:

هو عبارة عن موسوعة تراجم جمع فيها المؤرخ نحوا من ثلاثة آلاف ترجمة لمشاهير الشخصيات السياسية كالسلاطين والأمراء وقادة الجيش، والعلمية من الذين عاشوا في مصر والشام خلال عصر المماليك، إضافة إلى من عاصرهم من مشاهير المشرق والمغرب وأوروبا من المسلمين وغير المسلمين.

أما التراجم المستقاة منه لأعلام الفكر والثقافة والتصوف المغاربة فبلغ عددها ثلاثة وعشرون ( 23) موزعة بين أجزائه الستة المنشورة المتوفرة ( من الجزء الثاني إلى الجزء السابع)، والبارز فيها أن المؤلف ركز على الأندلسيين وعلى العلماء الذين كان لهم رحلة إلى مصر أو الذين ولدوا بها، حيث كان له لقاءات مع كثير منهم، ويعدون من شيوخه كما صرح بذلك في تراجمهم، كما أننا نلمس في كلمات ابن تغري بردي مدى تقديره لهؤلاء العلماء وتبجيله لهم، وذلك دليل على المكانة التي كان يحظى بها أعلام المغرب الإسلامي في بلاد المشرق من جهة، وأن المؤلف على قدر واسع من العلم والموضوعية في تناول تاريخ الرجال. كما يظهر بأن صاحب الكتاب كان متأثرا بالصوفية ومعتقدا في بركتهم، فغالبا ما يختم تراجمهم بقوله: نفعنا الله ببركته.

ونسجل بعض الملاحظات حول جملة من الهفوات التي يمكن أن يكون قد وقع فيها المؤلف أو النساخ الذين تداولوا الكتاب، خصوصا في نقل بعض المصطلحات الجغرافية أو أسماء القبائل المغربية سنأتي على ذكرها في متن المقال، ولكن ذلك لا ينقص من أهمية هذا المصدر كما أنه ذكر بعضا من المصادر التي استقى منها معلوماته من خلال ذكر بعض المؤرخين والكتاب والمصنفين مثل الذهبي وابن تيمية وأبي حيان وغيرهم، ويبدوا أنه كان كثير القراءة والاطلاع على الكتب المعاصرة له، وتوجد بعض التراجم استقاها عن طريق استخدام الشهادة الحية من أبناء أو تلاميذ وأتباع المترجم له، ويعد كتابه من أهم كتب التراجم في التاريخ الوسيط.

– تراجم أعلام الثقافة المغربية والأندلسية في كتاب المنهل الصافي:

1– أبو العباس المرسي ( 616 – 686هـ / 1219 – 1287م)[2]:

ورد في الترجمة رقم 228 على الشكل التالي:"أحمد بن عمر بن محمد، الشيخ الإمام العالم الزاهد الكبير العارف بالله شهاب الدين أبو العباس الأنصاري المرسي السكندري، وارث شيخه أبي الحسن الشاذلي تصوفا، الأشعري معتقدا.

كان لديه فضيلة ومشاركة، وله كرامات وأحوال مشهورة عنه، وللناس فيه اعتقاد هائل لا سيما أهل إسكندرية، وقد شاع ذكره، وبعد صيته بالصلاح والزهد.

قال ابن عرام سبط الشاذلي: ولولا قوة اشتهاره وكراماته لذكرت له ترجمة طويلة، ثم قال وكان من جملة الشهود بالثغر. انتهى.

قلت وكانت وفاته بالاسكندرية في سنة ست وثمانين وستمائة، رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته".

2– أبو العباس الأنصاري (578 – 656هـ/1182 – 1258م)[3] :

ورقم ترجمته 229 وترجم له المؤلف على الشكل التالي:" أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر، الشيخ الإمام أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي المحدث المدرس الشاهد، نزيل الإسكندرية.

ولد بقرطبة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وسمع بها، وقدم مصر وحدث بها، واختصر الصحيحين ثم شرح مختصر مسلم وسماه المفهم وأتى فيه بأشياء مفيدة، وكان بارعا في الفقه والعربية، عارفا بالحديث، وكان يعرف في بلاده بابن الزين، ومن مصنفاته " كتاب كشف القناع عن الوجد والسماع: أجاد فيه وأحسن، وكان أولا اشتغل بالمعقول، وله قدرة على توجيه المعاني بالاحتمال.

قال الحافظ شرف الدين الدمياطي: أخذت عنه وأجاز لي مصنفاته، وتوفي بالإسكندرية سنة ست وخمسين وستمائة، رحمه الله تعالى".

3– أبو العباس اللخمي (625 – 699 هـ/ 1227 – 1299م)[4] :

وردت ترجمته تحت رقم 240 على الشكل التالي:" أحمد بن فرج بن أحمد، الإمام الحافظ الزاهد شهاب الدين أبو العباس اللخمي الإشبيلي الشافعي.

ولد سنة خمس وعشرين وستمائة، وأسره الفرنج في سنة ست وأربعين، ثم خلص بعد مدة وقدم إلى القاهرة سنة بضع وخمسين، وتفقه على الشيخ عز الدين ابن عبد السلام، وسمع من شيخ شيوخ حماه شرف الدين الأنصاري، والنجيب بن الصيقل، وابن علاق، وبدمشق من ابن عبد الدائم، واعتنى بالحديث وأتقن ألفاظه ومعانيه، وفقهه، وصار من كبار الأئمة، مع ما فيه من الورع والصدق والديانة، وكان حلقة اشتغال بكرة بالجامع الأموي، وعرضت عليه مشيخة دار الحديث النورية فامتنع، وكان بزي الصوفية، سمع عليه الحافظ الذهبي وغيره، وله نظم ونثر، وله قصيدة غزلية في صفات الحديث وهي عشرون بيتا، وسمعها منه الدمياطي واليونيني، وأولها:

غرامي صحيح والرجا فيك معضل ودمعي وحزني مرسل ومسلسل

فلا حسن إلا سماع حديثكم مشافهة تملى على فانقل

توفي بدمشق بسكنه تربة أم الصالح في سنة تسع وتسعين وستمائة، وشيعه خلق كثير، وكانت جنازته مشهودة، رحمه الله تعالى".

4– كتاكت الواعظ المقرئ (605 – 684 هـ/1208 – 1285م) [5] :

وردت ترجمته تحت رقم 249، وهو " أحمد بن محمد بن أحمد، الشيخ زين الدين أبو العباس الأندلسي الإشبيلي، المعروف بكتاكت الواعظ المقرئ.

مولده بتنيس سنة خمس وستمائة، وكان لوعظه تأثير في القلوب، وعنده فصاحة، وله نظم ونثر ومعرفة بالأدب، ومن شعره:

أدرنا خمرة الأحداق سرا على الأرواح واتصل النعيم

وبتنا واغتبقنا واصطحبنا ولم تشعر بوصلنا الجسوم

فها أنا والعروسة تحت ستر به ألقاب عفتنا رقوم

وما فهمت بروق الحي عنا إشارتنا ولا فطن النسيم

وله أيضا:

يا بارق الحي كرر في حديثك لي تذكارهم وأعد روحي إلى بدني

وأنت يا دمع ما هذا الوقوف وقد جرى حديث الحمى النجدي في أذني

توفي صاحب الترجمة بالقاهرة في سنة أربع وثمانين وستمائة، رحمه الله تعالى".

5– ابن الشريشي أبو العباس البكري (ت: 718 هـ/1318م) [6] :

وردت ترجمته تحت رقم 250، وهي على الشكل التالي:" أحمد بن محمد، الشيخ كمال الدين أبو العباس البكري الشافعي المعروف بابن الشريشي، وهو غير شارح المقامات الحريرية.

ولي المذكور وكالة بيت المال بدمشق، ومشيخة دار الحديث الأشرفية، وتدريس الناصرية، ورشح للقضاء بدمشق، وكان ذا هيئة حسنة، وشكل مليح، وعنده فضل وأدب، قيل أنه كتب إلى بدر الدين محمد بن الدقاق يقول:

مولاي بدر الدين صل مدنفا صيره حبك مثل الخلال

لا تخش من عار إذا زرتني فما يعاب البدر عند الكمال

فبلغ ذلك العلامة صدر الدين بن المرحل فكتب:

يا بدر لا تسمع كلام الكمال فكل ما نمق زور محال

فالنقص يعرو البدر في تمه وربما يخسف عند الكمال

توفي الشيخ كمال الدين بدرب الحجاز سنة ثمان عشرة وسبعمائة، رحمه الله".

6– ابن أبي حجلة التلمساني (726 – 776 هـ/1326 – 1375م) [7] :

رقم ترجمته هو 337، وجاءت على الشكل التالي :" أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد، الشيخ شهاب الدين أبو العباس المغربي المصري الحنفي، الشهير بابن أبي حجلة.

كان إماما بارعا، عالما فقيها، أديبا شاعرا، مولده بالمغرب بتلمسان بزاوية جده الشيخ أبي حجلة في سنة ست وعشرين وسبعمائة تقريبا، ونشأ بالمغرب ثم قدم القاهرة وتولى بها مشيخة مدرسة الأمير منجك اليوسفي، ودرس وأفاد، ومهر في عدة علوم، وغلب عليه الأدب، وقال الشعر الجيد، وصنف ودون، ومصنفاته كثيرة تبلغ ستين مصنفا: من ذلك كتابه ديوان الصبابة، والسكردان، وله خمس دواوين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وسبع أراجيز سبعة آلاف بيت، وأما الشعر فله فيه اليد الطولى والمعاني الغريبة والاختراعات العجيبة مع كثرة النظم وسرعة البديهة وخفة الروح والتخيل الصحيح، وكانت وفاته في يوم الخميس مستهل ذي الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة، عن إحدى وخمسين سنة بالقاهرة.

ومن شعره من قصيدة:

بقـاف أقسم عين شمس ليس لها لولاه شين ولا راء ولا فاء

ما طاب لي بعد خير الرسل في أحد سواه ميم ولا دال ولا حاء

وله أيضا:

حبيب تعالى قده حين سمته وقال قوامي رمحه لا يقوم

وخط عذار أعجم الخال لامه ولم أدر أن اللام في الحظ تعجم

وله:

نظمي علا وأصبحت ألفاظه منمقة
فكل بيت قاعة في سطح داري طبقة

وله في معذر:

دارت عذارا مليح أضحى بها الحسن بائر
فياله حسن وجه دارت عليه الدوائر

وله أيضا:

يا صاح سكرى من هوى أغيد قوامه كالغصن إذ ما سا
ساق متى لاح لي كأسه أذكرني شاربه الأسا

وله مضمنا:

يا صاح قد حضر الشراب وبغيتي وحظيت بعد الهجر بالإيناص
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني واجعل حديثك كله في الكاس

وله في مليحة تدعى فضة:

مذ هجرتني فضة لم تزل نقود عيشي بعدها نضة
أفلست في العشاق ما حيلتي لا ذهب عندي ولا فضة".

**7– الشيخ أبو إبراهيم الغرناطي الطوسي (ت: 655 هـ/1257م)[8] :**

ورد في الترجمة رقم 400، وهو:" إسحق بن إبراهيم بن عامر، الشيخ أبو إبراهيم الغرناطي الطوسي، بفتح الطاء، المهملة.

كان أديبا فقيها شاعرا، وكان يتلو في كل يوم ختمة، قرأ بمراكش وتأدب، وأخذ القراءات عن ابن هاشم الجذامي، وسمع الكثير وروى وحدث، وهو آخر من حدث عن ابن خليل، توفي سنة خمس وخمسين وستمائة، رحمه الله تعالى".

**8– الإمام أبو محمد الواديآشي المالكي (610 – 694 هـ/1213 – 1395 م)[9] :**

ورد في الترجمة رقم 708، وهو:" جابر بن محمد بن قاسم بن حسان، الإمام أبو محمد الأندلسي الواديآشي المالكي، نزيل تونس.

مولده سنة عشر وستمائة، ورحل إلى تونس وتفقه بها، قدم القاهرة وحج ودخل الشام والعراق، وقرأ لأبي عمر، وعلى السخاوي، وسمع منه الشاطبية وسمع من ابن القبيطي، وعز الدين عبد الرزاق، ورجع إلى الأندلس واستوطن تونس، وسمع منه ابنه، وتوفي سنة أبرع وتسعين وستمائة".

**9– هني الدين المقرئ (ت: 684 هـ/ 1285م)[10] :**

**ورد في الترجمة رقم 880، وهو:" حازم بن القاضي محمد بن الحسن بن محمد بن خلف، الشيخ العلامة هني الدين أبو الحسن الأنصاري، شيخ البلاغة والأدب، صاحب النظم والنثر.**

**كان من أعيان العلماء، وهو من أهل قرطاجنة بالأندلس. توفي سنة أربع وثمانين وستمائة، وله ست وسبعون سنة. رحمه الله تعالى وعفى عنه".**

**10– الحسن بن عبد الكريم بن فتح الغماري (617 – 712 هـ/1220 – 1312م)[11] :**

**ورد في الترجمة رقم 902، وهو:" الحسن بن عبد الكريم بن عبد السلام بن فتح الغماري المغربي الشيخ الإمام العالم الفقيه المقرئ، أبو محمد المالكي الملقن المؤدب، سبط زيادة بن عمران.**

**مولده ينة سبع عشرة وستمائة بمصر، وقرأ بالروايات على أصحاب أبي الجود وسمع من أبي القاسم بن عيسى جملة صالحة، وكان آخر من حدث وسمع الشاطبيتين من أبي عبد الله لقرطبي تلميذ الشاطبي. وتفرد بمروياته.**

**وكان شيخا جليلا، حسنا، متواضعا، روى عنه أثير الدين أبو حيان، وفتح الدين بن سيد الناس، وابن الفخر، وتقي الدين السبكي. وتوفي سنة اثنتي عشرة وسبعمائة رحمه الله".**

**11– أبو حيان (708 – 764 هـ/ 1308 – 1362م)[12] :**

**ورد في الترجمة رقم 972، وهو:" حيان بن محمد بن يوسف بن علي، مؤيد الدين بن العلامة أثير الدين أبي حيان، المغربي الأصل، المصري المولد الدار.**

**ولد بالقاهرة سنة ثمان وسبعمائة، وأسمع على أبي الحسن بن الصواف، وعبد الرحمن بن مخلوف، وتلا بالسبع على والده، ثم تلا بحضرة والده على التقي الصائغ، وأجازه. وكتب عن جماعة منهم التقي السبكي. ومات في أواخر شهر رجب سنة أربع وستين وسبعمائة، رحمه الله تعالى".**

**12– خليفة المعتقد المغربي (ت: 829 هـ/1425م)[13] :**

**ورد في الترجمة رقم 998، وهو:" خليفة، الشيخ المعتقد الصالح المغربي، نزيل جامع الأزهر.**

**قدم من بلاده، وسكن الجامع مدة تزيد على أربعين سنة، على قدم هائل من العبادة والصلاح، وصار للناس فيه اعتقاد حسن، وتردد إليه الناس كثيرا للزيارة.**

**رأيته غير مرة، وحضرت مجلسه. كان عليه حرمة، ومهابة، وخفر زائد، بحيث أن الناس كانوا لا يتحدثون معه في الغالب إلا جوابا، واستمر على ذلك إلى أن دخل يوما الحمام – حمام القاضي بالقرب من الجامع – فأتاه فيها أجله، فمات فجأة في حادي عشرين المحرم سنة تسع وعشرين وثمانمائة، فأخرج من الحمام، وغسل، وصلي عليه بجامع الأزهر، ثم دفن بالصحراء بحوش الأشرف، ومن ثم عرف بحوش الشيخ خليفة، رحمه الله".**

**13– ربيع بن يحيى القرطبي ( ت: 767 هـ/1365م)** [14] :

**ورد في الترجمة رقم 1040، وهو:" ربيع بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع، أبو الزهر الأشعري القرطبي المغربي. هو من بيت كبير شهير بالأندلس. روى عن أبيه أبي عامر وغيره، وولي قضاء بعض الأندلس. وتوفي بحصن بلش سنة سبع وستين وستمائة".**

**14– عفيف الدين التلمساني (620 – 690 هـ/1223 – 1291م)** [15]:

**وردت ترجمته تحت رقم 1091، وهو:" سليمان بن علي بن عبد الله عفيف الدين، أبو الربيع العائدي** [16] **الكوفي**[17] **ثم التلمساني، الأديب الشاعر الصوفي المشهور.**

**كان إماما، بارعا، فاضلا، أديبا.**

**ذكره العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود في تاريخه، قال: ورأيت جماعة ينسبونه إلى رقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية. قال: وكان حسن العشرة كريم الأخلاق، له وجاهة وحرمة، وخدم في عدة جهات بدمشق، ومولده في سنة عشرين وستمائة، وكان من الفضلاء في فنون شتى، وحدث بشيئ من صحيح مسلم عن المشايخ الإثني عشر.انتهى.**

**قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: خدم في جهات المكس وغيرها، وكتب عنه بعض الطلبة، وكان يتهم بالخمر والفسق، وحاصل الأمر أنه من غلاة الاتحادية.**

**وذكره الشيخ شمس الدين الجزري في تاريخه، وما كانه عرف حقيقة حاله، وقال: عمل أربعين خلوة في الروم، يخرج من كل واحدة ليدخل في أخرى.**

**قال الذهبي: هذا كلام فيه مجازفة ظاهرة، فإن مجموع ذلك ألف وستمائة يوم، يقال: وله في كل علم التصنيف، وقد شرح أسماء الله الحسنى، وشرح مقامات النفرى. انتهى كلام الذهبي باختصار.**

**قلت: حاله معروف، وأمره مشهور، لا حاجة في الإطالة في ذلك، ولكن نذكر شيئا من شعره. من ذلك قوله:**

**سكر الصب في هواك فغنى ودعاه داعي الغرام فحنا**

**كيف يرجوا الحياة وهو مع الـ ـهجر قتيل وعند رؤياك يفنى**

**... قال الشيخ صلاح الدين: قال الشيخ أثير الدين أبو حيان في حقه: أديب جيد النظم، كان كثير التقلب، تارة يكون شيخ صوفية، وتارة يعانى الخدم الديوانية، قدم علينا القاهرة عند صاحبه الشيخ شمس الدين الأيكي، شيخ سعيد السعداء، وكان منتحلا في أقواله وأحواله طريقة ابن عربي، انتهى.**

**قلت وكانت وفاته في يوم الأربعاء خامس شهر رجب سنة تسعين وستمائة بدمشق، وفن من يومه بمقابر الصوفية، عفا الله عنه".**

**15– طلحة المغربي المعتقد (ت: 794 هـ/1392م)** [18]:

وردت ترجمته تحت رقم 1271، وهو:" طلحة المغربي، المجذوب المعتقد.

كان للناس فيه اعتقاد كبير لا سيما الظاهر برقوق، فإنه كان جيد الاعتقاد فيه إلى الغاية، وكان غالب إقامة طلحة المذكور بقلعة الجبل عند السلطان، وكان يدخل مع السلطان إلى الحريم، ويحكى عنه كرامات وكشف. واستمر على ذلك إلى أن توفي بمدينة مصر، في رابع عشر شوال سنة أربع وتسعين وسبعمائة، وكانت جنازته مشهودة، ودفن خارج باب النصر، أعني بالموضع الذي هو الآن تربة الملك الظاهر برقوق.

وطلحة هذا هو ممن أوصى الملك الظاهر برقوق عند موته بدفنه تحت أرجلهم، رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته".

16– عباة بن عبد الله الأندلسي (ت 422 هـ/1031م) [19]:

وردت ترجمته في الجزء السابع من الكتاب تحت رقم 1302 على الشكل التالي:" عبادة بن عبد الله بن ماء السماء، المفنن أبو بكر، شاعر الأندلس، ورأس الشعراء في الدولة العامرية، وهو صاحب الموشحة:

من ولى في أمة أمرا ولم يعدل  يعزل إلا لحاظ الرشا الأكحل

جرت في حكمك  في قتلي يا مسرف

فانصف فواجب  أن ينصف المنصف

وارأف فإن هذا  المشوق لا يرأف

عللي قلبي بذاك البارد السلس  ينجلي ما فؤادي من جو مشتعل.

17– عبد الله بن أحمد بن الأخرس (ت: 670 هـ/1371 م) [20]:

ترجم له المؤلف تحت رقم 1312، وجاء في الترجمة:"عبد الله بن أحمد، الشيخ الأديب أبو جعفر القرموني المغربي، عرف بابن الأخرس.

كان أديبا فاضلا، نحويا، بحث في كتاب سيبويه وغيره على أبي الحسن الآمدي الحافظ.

وكان له شعر كثير، من ذلك قوله:

يا دارمية كلما دنت انقضت  لمحبها من وصلها أشياء

الله يعلم أنني بك هائم  ويصدني من أزور حياء

توفي بعد السبعين وستمائة، بمدينة فاس، رحمه الله تعالى".

18– عبد الله بن محمد المرجاني (ت: 699 هـ/1299م) [21]:

وردت ترجمته تحت رقم 1346، وجاء عنه:" عبد الله بن محمد، الشيخ الإمام العالم القدوة أبو محمد القرشي التونسي، شيخ المغرب، المعروف بالمرجاني.

كان رأسا في العلم والعمل، بارعا في التفسير، مقدما في الوعظ والتذكير وافر الجلالة والحرمة، كان أحد مشايخ الإسلام وأكابر الصوفية.

قال اليافعي رحمه الله: بلغني عنه أنه قيل له: قال فلان: رأيت عمودا من نور ممتدا من السماء إلى فم الشيخ أبي محمد المرجاني في حال كلامه فلما سكت ارتفع ذلك العمود، فتبسم وقال: ما عرف، بل لما ارتفع العمود سكت، قال اليافعي رحمه الله: قلت: إنه كان يتكلم بالأسرار عن مدر الأنوار، فلما انقطع المدد بالنور الممدود انقطع النطق بالكلام، انتهى.

قلت: وكانت وفاته بتونس من بلاد الغرب في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة، رحمه الله، ونفعنا ببركته".

**19–ابن سبعين (ت: 667 هـ/1269م)** [22]:

رقم ترجمته في الكتاب هو **1360**، وجاء عنه أنه:" عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين، قطب الدين أبو محمد المرسي الرقوطي الصوفي.

كان صوفيا على قاعدة الفلاسفة ويميل إلى الزندقة، وله كلام في العرفان وتصانيف، وله مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية، وغالب كلامه محشو بكلام الفلاسفة.

قال الحافظ شمس الدين محمد أبو عبد الله الذهبي: ذكر شيخنا قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد قال: جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر وهويسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته ... وحدثني فقير صالح أنه صحب فقراء من السبعينية فكانوا يهونون له ترك الصلاة وغير ذلك، قال: وسمعت ابن سبعين فصد بمكة وترك الدم يخرج حتى تصفى، ومات بمكة في ثامن عشرين شوال سنة ثمان وستين وستمائة، وله خمسة وخمسون سنة، انتهى كلام الذهبي باختصار.

قلت هو زنديق فيلسوفي بلا مدافعة، وإن ما ذكره الذهبي من قتله لنفسه حقا فهو أيضا في جهنم، لأنا نفرض أنه كان صحيح الإسلام وكل ما نسب إليه كذب، فقد قتل نفسه فهو عاص بلا شك، وبالجملة فإنه أخبث الناس وأسوأهم حالا واعتقادا، عليه من الله ما يستحق.

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي: وقد اجتمعت بأصحاب أصحابه فرأيتهم ينقلون عن أولئك أن ابن سبعين كان يعرف السيمياء والكيمياء، وأنهم كانوا يقولون: أنفق فينا ثمانين ألف دينار، وأنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكرر على ثلاثين سطرا من كلام غيره، وأنه لما خرج من وطنه كان ابن ثلاثين سنة، وخرج في خدمته جماعة من الطلبة والأتباع وفيهم الشيوخ، وأنهم لما أبعدوا بعد عشرة أيام أدخلواه الحمام ليزيل وعثاء السفر، فدخلوا في خدمته، وأحضروا له قيما يحك رجليه، فسألهم عن وطنهم لما استغربهم، فقالوا له: من فلانة، فقال لهم من البلد التي ظهر فيها هذا الزنديق ابن

سبعين، فأومأ إليهم أن لا يتكلموا، وقال هو: نعم، وأخذ يسبه ويلعنه كثيرا، وهو يقول له استقص في الحك، ودام القيم يزيد في اللعن والذم إلى أن عرفه بعض مريديه فسكت.

قلت: وهذا أيضا مما يدل على صدق ما قيل في حقه لعظم الإشاعة في زمانه من مبدأ أمره إلى أن مات...."

**20– أبوحبيب عبد الرحمن المغربي (؟)[23]:**

وردت ترجمته تحت رقم **1370**، دون ذكر تاريخ لميلاده أو وفاته، وهو:" عبد الرحمن بن أحمد الشيخ أبو حبيب المغربي. ولد بالمحمدية، وتأدب بالأندلس، دخلها صغيرا مع أبيه، وكان من صالحي الأمة وعبادها وزهادها، وكان فقيها بارعا، بارزا في الأدب وصناعة الشعر، ذكيا حاذقا مفننا".

**21– عبد الرحمن بن خلدون (732 – 808 هـ/1331 – 1405م)[24]:**

ترجم له تحت رقم **1395**، وقال عنه في كلام أطول من التراجم السابقة:" عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن، قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد الحضرمي الإشبيلي، المعروف بابن خلدون.

مولده يوم الأربعاء أول شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بمدينة تونس ببلاد المغرب، ونشأ بها، وطلب العلم، وقرأ، وحفظ القرآن العزيز، وقرأ على الأستاذ أبي عبد الله محمد بن سعد بن تراك الأنصاري بالقراءات السبع إفرادا وجمعا في إحدى وعشرين ختمة، ثم جمعها في ختمة واحدة، ثم قرأ ختمة برواية يعقوب جمعا بين الروايتين عنه، وعرض عليه قصيدتي الشاطبي اللامية والرائية، وكتاب النفطي لأحاديث الموطأ لابن عبد البر، ودرس كتاب التسهيل في النحو لابن مالك، ومختصر ابن الحاجب الفقهي، وأخذ العربية عن أبيه، وأبي عبد الله محمد بن الشواش البرزالي، وأبي العباس أحمد بن القصار، وأبي عبد الله محمد بن بحر ولازم مجلسه وأشار عليه بحفظ الشعر، فحفظ: المعلقات، وحماسة الأعلم، وشعر حبيب بن أوس، وقطعة من شعر المتنبي، وكتاب سقط الزند لأبي العلاء المعري، وسمع صحيح مسلم بتونس إلا فوتا يسيرا من كتاب الصيد، وسمع موطأ مالك على أبي عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الوادياشي وأجازه إجازة عامة، وأخذ الفقه بتونس عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجياني، وأبي القاسم محمد بن القصير، وقرأ عليه كتاب التهذيب لأبي سعيد البرادعي، وعليه تفقه، وانتاب مجلس قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام، وأفاد منه، وسمع عليه وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن سليمان البسطمي، وأبي محمد عبد المهيمن الحضرمي وأبي العباس أحمد الزواوي، واستفاد من القاسم عبد الله بن يوسف المالقي، وجماعة أخر، واستمر بالمغرب إلى أن كان طاعون الجمادين سنة تسع وأربعين وسبعمائة، ومات أبواه، فاستدعاه أبو محمد بن تافراكين المستبد إذ ذاك بتونس إلى كتابة العلامة عن سلطانه أبي إسحاق إبراهيم ابن السلطان أبي بكر خامس عشر الملوك الحفصيين بتونس فكتب العلامة عن السلطان، وهي: الحمد لله والشكر لله، بقلم غليظ، ثم انصرف عن تونس عام ثلاث وخمسين وقدم

على أبي عنان فارس بن علي بن عثمان، فنالته السعادة عنده وعظم، ثم حصل له محنة عند موت فارس المذكور ولحق بالسلطان أبي سالم، فلما غلب على الملك رعى له السابقة وولاه كتابة الإنشاء، فصدر عنه أكثر بالكلام المرسل الذي انفرد به، حاكى فيها طريقة عبد الحميد بن يحيى الكاتب، ثم تنقل عند عدة ملوك إلى أن خرج من تونس منتصف شعبان سنة أربع وثمانين فوصل ثغر الإسكندرية يوم عيد الفطر ودخل القاهرة في عشر ذي القعدة من السنة، واستوطن القاهرة، وتصدر للإقراء بجامع الأزهر مدة، واشتغل وأفاد، ثم صحب الأمير علاء الدين الطنبغا الجوباني فأوصله إلى الملك الظاهر برقوق فولاه تدريس المدرسة القمحية بجوار جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه، ثم ولاه الملك الظاهر برقوق قضاء قضاة المالكية بديار مصر في يوم الإثنين تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وسبعمائة، فباشر بحرمة وافرة، وعظمة زائدة، وحمدت سيرته ودفع رسائل أكابر الدولة وشفاعات الأعيان، فأخذوا في التكلم في أمره ولازالوا بالسلطان حتى عزله في يوم السبت سابع جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وسبعمائة بقاضي القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير، فلزم المذكور داره إلى أن أعيد إلى القضاء بعد مدة طويلة في يوم الخميس النصف من شهر رمضان سنة إحدى وثمانمائة، واتفق بعد توليته بمدة يسيرة موت الظاهر برقوق في شوال من السنة فصرف أيضا في يوم الخميس ثاني عشر المحرم من سنة ثلاث وثمانمائة، وخرج مع السلطان الملك الناصر فرج إلى البلاد الشامية لقتال تيمورلنك بطالا إلى أن ملك تيمور دمشق وأحاط بها ونزل إليه المذكور من سور دمشق بحبل، وخالط عساكر تيمور وطلب منهم يوصلوه بتيمور، فساروا به إليه، فأم بإحضاره فحضر، فأعجبه حسن هيئته وجمال صورته، وخلبه بعذوبة منطقه ودهاه بكثرة مقالاته بإطرائه، فأجلسه واستدناه، وشكر له سعيه، وحظى عنده إلى أن أطلقه وزوده، وعاد إلى القاهرة بعد عود تيمور إلى بلاده، ولما وصل إلى القاهرة سعى فولي القضاء مرة ثالثة في يوم السبت ثالث شهر رمضان سنة ثلاث، واستمر إلى أن عزل في رابع عشرين شهر رجب سنة أربع وثمانمائة، ثم أعيد في يوم الخميس لأربع بقين من ذي الحجة من السنة، ثم صرف يوم الإثنين سابع شهر ربيع الأول سنة ست، ثم أعيد في شعبان سنة سبع وثمانمائة، ثم صرف سادس عشرين ذي القعدة منها، ثم أعيد في شعبان سنة ثمان وثمانمائة، فلم تطل مدته ومات وهو قاض فجأة في يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر، وله من العمر ست وسبعون سنة وخمسة وعشرون يوما،وكان له نظم ونثر.... ".

**22– عبد الرحمن بن محمد القيرواني (685 – 732 هـ / 1286 – 1331م)** [25]:

رقم ترجمته هو **1400**، وهو :" عبد الرحمن بن محمد بن علي، الشيخ أبو زيد الأنصاري الأسدي القيرواني، المعمر المحدث صاحب تاريخ القيروان.

ولد بها في سنة خمس وثمانين وستمائة، وأخذ عن عبد الرحمن بن طلحة، وعيد السلام بن عبد الغالب الصوفي، وطائفة، وأجاز له ابن رواح، وابن الجميزي، وسبط السلفي، وجماعة، وخرج له أربعين تساعيات بالإجازة، سمع

محمد بن جابر الوادي آشي ،وكان إماما فاضلا، مؤرخا، توفي ببلده سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، رحمه الله تعالى وعفا عنه".

**23– عبد السلام بن علي الزواوي المقرئ (589 – 681 هـ/1193 – 1382م)** [26]:

وردت ترجمته تحت رقم **1426**، وهو :" عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس، العلامة زين الدين أبو محمد الزواوي المالكي المقرئ، شيخ القراء والمالكية بالشام.

ولد بظاهر بجاية بالغرب سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وقدم القاهرة سنة أربع عشرة وستمائة، وقرأ على المشايخ حتى برع في المذهب، وأفتى ودرس، وكان ممن جمع بين العلم والعمل، ولولى قضاء المالكية دمشق في سنة أربع وستين وستمائة على كره منه، وكان يخدم نفسه، ويحمل الحطب على يده مع جلالة قدره، ثم عزل نفسه عن القضاء لما مات رفيقه القاضي شمس الدين ابن عطاء، واستمر على ذلك إلى أن توفي سنة إحدى وثمانين وستمائة بدمشق، وحضر جنازته نائب الشام حسام الدين لاجين، رحمه الله تعالى".

**24– عبد القوي البجائي (743 – 816 هـ/1342 – 1413م)** [27]:

رقم ترجمته **1464**، وهو آخر علم من أعلام الفكر والعلم المغاربة الذين تعرض لترجمتهم ابن تغري بردي وعرفه بقوله:" عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي، المغربي الأصل والمولد والمنشأ، نزيل مكة، أبو محمد المالكي.

حدثني ولده الشيخ قطب الدين أبو الخير من لفظه قال: مولد والدي في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ببجاية من بلاد المغرب، ورحل من بلده وعمره ثمانية عشر سنة، وقدم إلى القاهرة، وحج في سنة أربع وستين، ثم عاد إلى القاهرة، ثم حج ثانية وعاد إلى القاهرة، وسكن بالجامع الأزهر، ثم حج في سنة سبعين، ووطن بمكة إلى أن مات في ليلة الأربعاء ثالث شوال سنة ست عشرة وثمانمائة بمكة، ودفن بالمعلاه، انتهى.

وقال الشيخ تقي الدين الفاسي: قدم إلى ديار مصر في شبيبته فأخذ بها عن الشيخ يحيى الرهوني وغيره من علماء عصره، ثم انتقل إلى مكة وأخذ بها عن الشيخ موسى المراكشي وغيره، وسمع بها من النشاوري وسعد الدين الإسفراييني وغيرهما، ودر بالحرم الشريف، وأفتى باللفظ قليلا تورعا، وكان ذا معرفة بالفقه، ويستحضر كثيرا من الأحاديث والحكايات والأشعار المستحسنة، وله حظ من العبادة والخير، رحمه الله تعالى".

**الخلاصة:**

وفي ختام هذه الإطلالة على أعلام الفكر والثقافة المغربية يمكن أن نقول أن المؤرخ المملوكي ابن تغري بردي الأتابكي قد حاول قدر المستطاع في موسوعته المخصصة للتراجم أن يجمع جملة من التراجم لأعلام الثقافة المغاربية في شتى

العلوم والفنون، وكان يحاول أن يبدو بمظهر المحايد دون إطلاق الأحكام، وهو ما سار عليه في كل التراجم ما عدا ترجمة الشيخ ابن سبعين التي أبدى من خلالها موقفه الصريح من طريقته ومذهبه الفكري.

إن دراسة المصادر المشرقية خاصة كتب التراجم التي تضم تراجم العلماء المغاربة تمكن الباحث من استنتاج نظرة المشارقة إلى أعلام المغرب، ومدى عمق الصلات الثقافية والترابط الفكري ووحدة الرؤية في الكثير من القضايا العلمية.

الهوامش:

(1) – شمس الدين السخاوي (محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت 902هـ/1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 3، مصر 1352، ص29. – أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985 ص180 – 184.

(2) – يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج 2، تح: محمد محمد أمين، تقديم: عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص ص43–44.

وله ترجمة أيضا في الكتب التالية: ابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 7، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982، ص371 – الوافي بالوفيات ، ج7،ص 264، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، القاهرة، 1350هـ ، ص 273، والمرسي نسبة إلى مدينة مرسية الواقعة في شرق الأندلس. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان.

(3) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 2، ص ص 44 – 45. ووردت ترجمته أيضا في: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7،ص69،ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص273.

(4) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 2، ص ص 59 – 60. ووردت ترجمته أيضا في: النجوم الزاهرة، ج 8، ص 191، شذرات الذهب، ج5، ص443.

(5) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص ص 70 – 71. وله ترجمة أيضا في: النجوم الزاهرة، ج7، ص364.

(6) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص ص 71–72.

(7) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص ص 259 – 261. ويمكن الرجوع إلى ترجمته في: النجوم الزاهرة، ج11، ص 131، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص ص 240 – 241.

(8) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 2، ص ص 36654–355.– النجوم الزاهرة، ج7، ص 289، شذرات الذهب، ج5، ص 360.

(9) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص 203.

(10) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص 55.

(11) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص 84.

(12) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص 189.

(13) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص 231.

(14) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص 342.

(15) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص ص 38 – 43. ووردت له ترجمات في كل من: النجوم الزاهرة، ج 8، ص ص 29 – 31، شذرات الذهب، ج5، ص412.

(16) – الأصح هو العابدي من بني عابد بطن من قبيلة كومية الزناتية بساحل تلمسان.

(17) – الأصح الكومي نسبة إلى قبيلة كومية الزناتية.

(18) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص ص 433 – 434.

(19) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 50.

(20) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 68.

(21) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 117.

(22) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص ص 144 – 147.

(23) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 159.

(24) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص ص 2015–2019.

(25) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص ص 222–223.

(26) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص ص265 – 266.

(27) – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 7، ص ص 328 – 329.، الضوء اللامع، ج 4، ص302، شذرات الذهب، ج 7، ص121.